آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة السادسة : العدد الرابع والعشرون ـ رمضان ١٤١٩ هـ ـ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٩م

■ تهذيب قراءة أبي عمرو ابن العلاء المازني البصري

تأليف: أبي عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤ هـ ـ بأوله قيد قراءة سنة ٥٢٤ هـ

* TAHTHEEB QIRA'T ABI AMR BIN AL ALA AL MAZINI AL BASRI
AUTHOR : ABI AMR AL DANI, DIED IN 444 A.H.

التقاليد الجامعية في التراث الإسلامي

الأستاذ الدكتور/ محمد مجيد السعيد
العـراق

يعد انبثاق فجر الدعوة الإسلامية انعطافة تاريخية كبيرة في تاريخ العرب، بل في تاريخ البشرية جمعاء، بما رسخته من مفاهيم وقيم أخلاقية وفكرية عالية. ويشكّل العلم والحثّ على طلبه في الدين الإسلامي قيمة كبيرة تقترن بالإيمان، قال الله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾[1]، كما أن علماء المسلمين قرروا أن بعض أنواع العلوم فرضُ عينٍ على كل مسلم ومسلمة[2].

ولسنا بصدد الإقناع والبرهنة على مقدار عناية الإسلام بالعقل والعلم والتفكير؛ فيكفي الرجوع إلى القرآن الكريم لمعرفة ذلك، وإن عقيدة بدأت دعوتها بقوله تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم**﴾[3] لجديرة بأن يكون للعلم والمعرفة والتبصر مكانٌ واسع في رحابها، بل أساسٌ متين من الأسس التي يقوم عليها الإيمان، يضاف إلى ذلك مئات من الآيات التي تضمنها الكتاب الكريم، والتي تحثّ الإنسان على إعمال العقل والذهن بوسائل مختلفة متنوعة من أجل الوصول إلى الحقيقة الكبرى... وحدانية الله تعالى، وتسخير العلم لخدمة الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة.

وفي أحاديث النبي محمد ﷺ وسيرته ما يؤكد هذا الجانب أيضًا.. فقد ورد عنه قوله ﷺ: (**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**)[4]، وقوله ﷺ: (**طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم**)[5]، وجاء عن معاذ بن جبل أنه قال: (تعلموا العلم؛ فإن تعليمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة...)[6] من حديثٍ طويل.

ومن هنا من الطبيعي أن يكون مسجد النبي ﷺ في المدينة المنورة أول مركزٍ علميّ في دولة المسلمين، ثم أعقبته بعد ذلك المساجد الأخرى في أصقاع الدولة الإسلامية؛ لتغدو مدارس للتعليم والتعلم. وهكذا أخذت الحركة العلمية مدّها الواسع الذي يتناسب طردًا مع توسّع الدولة الإسلامية، وتطورت تلك المدارس والتكايا والكتاتيب بمرور الزمن، وتحولت إلى جامعاتٍ كبيرة، لها شأنها، ولها مكانتها في تاريخ الحركة العلمية في العالم. من تلك الجامعات الأزهر، والنظامية، والمستنصرية، والقيروان، والزيتونة، وقرطبة، وإشبيلية، وغرناطة... وغيرها.

ولما كان الإسلام في جوهره لا يهمل الحياة الدنيا، بل أعطاها اهتمامًا ملموسًا، ودفع الناس إلى معايشتها، قال سبحانه وتعالى: ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا**﴾(٧)، وقال ﷺ: (**ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه**)(٨)، فقد كان التعليم في المدارس والجامعات الإسلامية يوازن بين الدنيا والآخرة، ولم يكن دينيًّا محضًا ولا أخرويًّا محضًا، وهذه من فضائل الإسلام التي ميزته عن اليهود وعن الرومان، الذين كانوا إما دينيين وإما دنيويين(٩)، ولذلك نجد أن الجامعات الإسلامية لم تقتصر في تخصصاتها على علوم الشريعة، بل تنوعت التخصصات فيها وتعددت، وكان هذا يتحدد بشروط الواقف وبطبيعة العلماء الذين يعملون في تلك المعاهد والجامعات واهتماماتهم وتخصصاتهم... فدخلت علوم اللغة العربية، والطبّ، والفلك، والحساب، والهندسة، والنبات، ومنافع الحيوان، وعلم الفرائض، والمساحات وغيرها إلى جانب العلوم الشرعية(١٠).

ومع كل ذلك كان الإطار العام الذي تتحرك فيه الجامعات ينضوي تحت عقيدة الإسلام ومفاهيمه وفضائله وركائزه الأساسية، التي توازن بين احتياجات الإنسان الحياتية وفرائضه وواجباته تجاه الخالق عزّ وجلّ.

تقاليد الجامعات الإسلامية

التقليد لغةً : مصدر قلّد يقلّد، وهو ما انتقل إلى الإنسان من آبائه ومعلميه ومجتمعه من العقائد والعادات والعلم والأعمال.

التقليد اصطلاحًا : هو القيم والممارسات غير المدونة التي يجري التعارف عليها.

فالتقليد لا يمكن أن يوجد بقرارٍ سياسيّ أو إداريّ، وإنما «هو ممارسة وتصرّف وسلوك، يتعارف عليه أفراد مجتمعٍ ما أو هيئةٍ ما، وتغدو جزءًا من شخصية أولئك الأفراد، وقيمة مهمة من قيمهم على المستويات الأخلاقية والاجتماعية، فلا يمكن إغفالها أو تجاوزها»، «ومن هنا فإن التقليد يعدّ أهم من القانون؛ لأنه الحالة السارية والمتوافقة مع ضمير الإنسان وعقله، بينما القانون الصيغة المدونة من قبل المشرّع، التي لا تخلو أحيانًا من البعد عن واقع الأفراد ومصالحهم»(١١).

فالتقاليد «تنمو نموًّا بطيئًا وتدريجيًّا لا شعوريًّا نتيجةً لقبول أفراد المجتمع بصيغة من صيغ العمل والممارسة، والتزامهم بها لفترة طويلة من الزمن»(١٢)، وبذلك تتحوّل هذه الصيغ والممارسات مع الوقت إلى سماتٍ وخصائص تترسخ في أعماق المجتمع، وتغدو جزءًا من خاصية الشخصية الاجتماعية لأفراد ذلك التجمع البشري.

ومن خلال الرجوع إلى مصادر تراثنا التعليمي والجامعي والقراءة بتمعنٍ فيها نتلمس ظهور العديد من الرسوم والتقاليد الدراسية والجامعية، التي تشكّلت عبر سنواتٍ طوال من خلال ممارساتٍ أخلاقية واجتماعية وتصرفاتٍ، كانت تحكم علاقات

أولئك الأفراد فيما بينهم في مؤسساتهم العلمية، وتطبعها بطابعٍ مميّز يكاد يكون أمرًا مقننًا ومحدودًا، لا يستطيع أحدٌ أن يتمرّد عليه، أو يخرج عن سياقه، يتقيدون به طواعيةً في إيمانٍ وقناعةٍ تامّين، رسومٌ توارثتها الأجيال، فتأصلت في ضمائرهم، وتعمقت داخل وجدانهم، فغدت جزءًا مكينًا في مسيرتهم وفكرهم وسلوكهم.

ومن هنا يمكن أن نقف عند بعض تلكم الرسوم والتقاليد والأعراف التي صبغت جامعاتنا الإسلامية في العصور السالفة بصبغتها.

أولاً : رسوم تخصّ الجامعات

لقد توسّع استحداث المدارس وتأسيسها إبان العصر العباسي على الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية كلها، وكانت تلك المدارس والجامعات تحظى بعنايةٍ كبيرة من الدولة ومن القائمين على إنشائها، فتأصلت من جرّاء ذلك أعرافٌ في المجتمع الإسلامي في تمويلها ورعايتها ماديًّا ومعنويًّا، ومراسيم في افتتاحها وفي نظام التدريس فيها.

ومن تلك التقاليد والأعراف:

١ - كانت المدارس العليا (التي نطلق عليها حاليًّا اسم الجامعات) تبنى في الغالب بأمرٍ من ذوي السلطان السياسي كالخليفة أو أحد وزرائه، ولذلك فهي حكومية أو شبه ذلك، وكان من رسومها أن يوقف عليها وقفٌ معيّن؛ لتغطية نفقاتها ومصاريفها وأجور العاملين فيها، مثل مدارس النظاميات التي أنشأها نظام الملك أبو علي الحسن الطوسي وزير ملك شاه ابن ألب أرسلان السلجوقي سنة ٤٥٩هـ، ووقف عليها أوقافًا كثيرة محبسة للإنفاق منها على عمارتها وجرايات منتسبيها من المدرسين والعلماء والطلبة(١٣)، ومثلها الجامعة المستنصرية التي وقف عليها مؤسسها المستنصر «أوقافًا» كثيرة، منها الدور والخانات والقرى والرباع، وقيل إن قيمة ما وقف عليها بلغ ألف ألف دينار»(١٤)، وفي روايةٍ أخرى أن وقفها بلغ نيفًا وسبعين ألف مثقال(١٥).

وموضوع الوقف كان أمرًا شائعًا ومعروفًا في تلك الأزمان، وفي خطط المقريزي إشاراتٌ واضحة ومفصلة عن الأوقاف التي تخصّص للمدارس، مثل وقف الجامع الأزهر والسيوفية وغيرها(١٦).

٢ - إقامة مراسيم خاصة عند افتتاح المعهد العلمي أو الجامعة، يحضرها كبار المسؤولين في الدولة، وقد يحضرها الخليفة نفسه، كما يحضرها العلماء والقضاة والمدرسون؛ فقد أقيم حفلٌ كبير يوم افتتاح المستنصرية حضره الخليفة المستنصر بالله نفسه، وأهل دولته، وسائر الولاة والحجاب، والقضاة، والمدرسون، والفقهاء، ومشايخ الربط والصوفية، والوعاظ، والقرّاء، والشعراء، وجماعةٌ من أعيان التجار الغرباء(١٧)، ثم رُتب للمدرسة مدرسان ونائبا تدريس(١٨)، وخلع على كل مدرسٍ منهما «جبة سوداء وطرحة كحلية، وأمطي بغلةً بمركبٍ جميل، وعدةٍ كاملة»(١٩)، «وخُلع على النائبين لكل واحدٍ منهما قميصٌ مصمت، وعمامة قصب، ثم خلع على جميع المعيدين... ثم مدّ سماط في صحن المدرسة أجمع، فكان عليه من الأشربة والحلوى وأنواع الأطعمة ما يجاوز حدّ الكثرة... ثم أفيضت الخلع على الحاضرين من المدرسين ومشايخ الربط والمعيدين بالمدارس والشعراء والتجار الغرباء، ثم أنشد الشعراء المدائح فيها وفي منشئها»(٢٠)، ويوم افتتاح المدرسة البشيرية بالجانب الغربي من بغداد حضر الخليفة وأولاده ذلك الحفل «فجلسوا في وسطها، وحضر الوزير وأرباب المناصب ومشايخ الربط

والمدرسون»(٢١). ويصف المقريزي حفل افتتاح المدرسة الظاهرية بالقاهرة سنة ٦٦٢هـ... ويقول عنه إنه كان يومًا مشهودًا، وهو قريبٌ بمراسيمه من حفل افتتاح المستنصرية(٢٢).

٣ – لم يكن بدء التدريس الجامعي منظمًا ومحددًا ببرنامج معين وزمن معيّن، كما في جامعاتنا في الوقت الحاضر، وإنما كان شيخ الجماعة يحدد بدء الدراسة، الذي هو قيدوم الأساتذة وعميدهم، بالاتفاق مع قاضي المدينة أو راعي الجامعة، وفي العادة يكون بدء الموسم الدراسي في مستهل فصل الشتاء، ويستمر حتى بداية فصل الصيف، وكان بعض العلماء يستمرون في تدريس من يحضر من الطلبة حتى في أيام القيظ. ويبدو أن الدراسة كانت تستغرق خمسة أيام في الأسبوع، وتعطّل يومي الخميس والجمعة. أما العطل الموسمية فتكون أسبوعًا للأعياد الإسلامية، وأيامًا تحددها الإدارة قبل حلول رمضان وفي موسم الربيع وعاشوراء(٢٣).

ولم تكن المحاضرات خاضعةً لحساب الساعة، وإنما كانت أوقات الصلاة هي المعتمدة في تحديدها، فهي إذًا تبتدىء من قبل طلوع الشمس وتنتهي بعد غروبها(٢٤).

ثانيًا : رسوم وتقاليد تخصّ المدرس

لما كانت مهنة التعليم صناعة من أشرف الصناعات كما يقول الغزالي، وأن المدرس قائد العملية التعليمية والتربوية والمؤثر في نفوس تلاميذه وفي قلوبهم، فإن المدرس يشكّل بذلك العنصر المهم والخطير في الحياة الجامعية، وترسخت لذلك عبر مئات السنين ضوابط اجتماعية وأعراف ثابتة تحدّد شخصية المدرس وتؤطر الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية والعلمية التي يجب أن يتسم بها؛ ليكون أنموذجًا متكاملاً، منطلقًا بذلك من إيمانه بكرامة هذه المهنة وقدسيتها، فلا يولي السلطان في «وظيفة التدريس إلا من يعظم خطره ويرتفع شأنه»(٢٥). واشترطوا فيه أن «يكون ذا رياسةٍ وفضل، وديانة وعقل، ومهابة وجلالة، وناموس وعدالة، ومحبة في الفضلاء، وعطف على الضعفاء، يقرب المحصلين، ويرغب المشتغلين، ويبعد اللغائين، وينصف البحاثين، حريصًا على النفع، مواظبًا على الإفادة(٢٦). وكان لهؤلاء العلماء المدرسين امتيازات مادية ومعنوية كبيرة؛ فقد خصصت لهم معاليم شهرية على جهودهم التدريسية(٢٧)، تصل أحيانًا إلى اثني عشر دينارًا في الشهر، وقد يخلع عليه خلعة التدريس ويعطى بغلة(٢٨)، ويبدو من خلال معلوم المدرس أنه كان يتقاضى مبلغًا مجزيًا بقياسات ذلك الزمن، وأن معلومه أكثر من غيره من العاملين في الجامعة أو المعهد، فقد جاء أن معلوم المعيد ثلاثة دنانير شهريًّا، ومثلها لشيخ تلقين القرآن الكريم وشيخ الحديث النبوي(٢٩).

يضاف إلى المعلوم النقدي المقرر لهم شهريًّا جرايات كانت تصرف إليهم يوميًّا من خبزٍ وطبيخ وحلوى وفاكهة وصابون وزيت إلى غير ذلك من جرايات تقدرها إدارة الجامعة، حسب مراتب المدرسين والعاملين(٣٠)، كما يقدّم إليهم الماء الحار شتاءً والبارد صيفًا(٣١). ويبدو أن هذه الامتيازات والمخصصات يقابلها تفرغ المدرسين تفرغًا تامًّا للتدريس وللبحث العلمي(٣٢).

وتبلورت ضمن هذه الضوابط والأسس، التي تعارف عليها العلماء والمسؤولون، مجموعة قيمٍ وتقاليد ينهجها السالكون في هذا الدرب... والعاملون في مجال التدريس والتعليم منها:

١ – أن بعض المدرسين يعينون بتوقيع؛ أي بمرسوم أو إرادة سامية كما هو عليه اليوم، «ثم يخلع عليه، وقد يعطى بغلةً، فيحضر إلى المدرسة بالخلعة ومعه الولاة والحجاب وصاحب البريد وجميع

أرباب المناصب، ثم يجلس على سُدة التدريس، فيخطب ويلقي بحثه وعليه الطرحة»(٣٣). ومن تلك التواقيع «التوقيع الذي كتب لضياء الدين التركستاني الحنفي المدرس بمدرسة أبي حنيفة في خلافة الناصر لدين الله»(٣٤)، والتوقيع الذي كتبه الإمام الناصر لدين الله للقاضي محيي الدين ابن فضلان بالتدريس في المدرسة النظامية ببغداد سنة ٦١٤هـ.. وأمثالهما كثير(٣٥).

٢ – كان المدرس يُعطي أهميةً كبرى لحضور الدرس، «فيتطهر من الحدث والخبث، ويتنظف ويتطيّب، ويلبس من أحسن ثيابه اللائقة بين أهل زمانه، قاصدًا بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة»(٣٦). وقد ذكر مؤلف تذكرة السامع: «أن مالكًا رضي الله عنه إذا جاءه الناس لطلب الحديث اغتسل وتطيّب، ولبس ثيابًا جددًا، ووضع رداءه على رأسه، ثم يجلس على منصة، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ»(٣٧).

٣ – ومن تقاليدهم أن بعض الشيوخ كان يصلي ركعتين قبل المباشرة بالدرس، ثم يدعو الله تعالى بالتوفيق والإعانة والعصمة، ثم بعد ذلك يقرأ شيئًا من القرآن الكريم تبركًا وتيمنًا(٣٨).

٤ – يكون جلوس الشيخ باتجاه القبلة، إن أمكن، ويتربع في جلسته بخشوعٍ وتواضع في مكانٍ بارز لجميع الحاضرين، وقد يجلس على منصته – (كرسي) عليه البسط – بوقارٍ وسكينة، لكن بعضهم «كان يكتفي بالجلوس على الحصير أو الطنفسة أو الاستناد إلى المنبر أو المحراب»(٣٩)، أو يجلس على السُّدة؛ فقد ذكر ابن خلكان في ترجمة المستظهري أنه حينما تولى التدريس بالنظامية ببغداد بكى كثيرًا «وهو جالسٌ على السُدة التي جرت عادة المدرسين بالجلوس عليها»(٤٠).

٥ – ومن تقاليدهم التي أخذت سمتها وصفتها الجلية ملابس الأساتذة، فقد أصبح لهم زيٌّ خاصّ بهم، يميّزهم عن غيرهم من أبناء المجتمع، فقد ذكر القلقشندي أن العلماء في الديار المصرية كانوا «يلبسون العمائم من الشاشات الكبار للغاية، ثم منهم من يرسل بين كتفيه ذُؤابة تلحق قَربَوس سرجه إذا ركب، ومنهم من يجعل عوض الذؤابة الطيلسان الفائق، ويلبس فوق ثيابه دَلقًا متسع الأكمام طويلها، مفتوحًا فوق كتفيه بغير تفريج، سابلاً على قدميه»(٤١).

وجاء في رحلة ابن بطوطة وهو يتحدث عن الشيخ قوام الدين الكرماني من مصر «بأن لباسه عباءة صوفٍ خشنة، وعمامة صوفٍ سوداء»(٤٢). وذكر ابن بطوطة أيضًا – في وصف أحد أساتذة المستنصرية – أنه كان يجلس على كرسي لابسًا ثياب السواد مصمتًا(٤٣).

وكان يُخلع على من يتولى التدريس الطَرحة(٤٤)؛ أي يلبس الطرحة السوداء، وكان ذلك أيام المعتصم، ثم بعد ذلك غدت مزجية خضراء أيام العثمانيين، وبعضهم يلبس الطرحة فوق العمامة... فإذا عُزل من التدريس يحرم من ارتداء الطرحة(٤٥).

ويبدو أن الطيلسان كان خاصًّا بمرتبة معينة من المدرسين، وذلك يفهم من قول ابن خلكان عند حديثه عن كمال الدين ابن يونس أنه حضر في بعض الأيام دروسَه جماعةٌ من المدرسين أرباب الطيالس(٤٦)، وحينما أذن لمحيي الدين ابن الجوزي بالتدريس لأول مرة في المدرسة المستنصرية «خَلع عليه الخليفة القميص والعمامة، وجعل على رأسه طرحة»(٤٧).

٦ – ألا يطيل المدرس المحاضرة، وإنما عليه أن يركّز في درسه؛ لئلا يدع الملل يتسرب إلى قلوب تلاميذه، وألا يقصّر تقصيرًا مخلاً، وإنما عليه مراعاة مصلحة الحاضرين(٤٨).

٧ – أن يلقي المدرس محاضرته بصوتٍ معتدل على قدر الحاجة لإسماع الحاضرين، فلا هو عالٍ بزيادة، ولا منخفض بما يقلّل الفائدة[٤٩] متمسكين بالتوجيه النبوي، فقد روي عن النبي ﷺ قوله: (**إن الله يحب الصوت الخفيض ويبغض الصوت الرفيع**)[٥٠].

٨ – ومن التقاليد والرسوم التي عرفت بها الجامعات الإسلامية إطلاق الألقاب على المدرسين والعلماء المميزين، الذين تشهد لهم مجالسهم، وتتناقل الركبان أسماءهم، فيقصدهم الطلبة من كل صوب، ولقد ذكر القلقشندي مجموعةً كبيرةً من الألقاب الخاصة بالمدرسين ضمن فصل طويل عن الألقاب والنعوت المستعملة عند كتّاب الزمان بشكل عام في كتابه صبح الأعشى[٥١]. فمن ألقاب العلماء والمدرسين: رئيس الأطباء، رئيس الجرائحية، رئيس الكحالين، المدرس المعيد، الأثير، الأريب، الأصيل، البارع، البليغ، الحافظ، الحَبر (بفتح الحاء وكسرها)، الرُحلة (بضم الراء) وهو الذي يرحل إليه للأخذ عنه[٥٢]، الشيخ العالم، العريق، العلامة (وهو العالم للغاية)، الفاضل، الفقيه، اللبيب، اللوذعي (أي الذكي)، الماجد، المجتهد، المحقق، المخدوم، المدقق، وغيرها، ومنها كذلك ألقاب مركبة مثل: حجة البلغاء، أوحد الكتاب، جهبذ الحُذاق، رُحلة الوقت، صدر المدرسين، علم الأعلام، فخر المدرسين.. وغير ذلك كثير[٥٣].

وفي كل الأحوال فإنها ألقابٌ ونعوت لا تطلق إلا على من يمتهن العلم والكتابة، ويتخذ من القلم حرفةً له، سواء أكان متفرغًا للتدريس، أم للبحث والتأليف، أم شغلته الوظائف الرسمية، فعمل كاتبًا أو كاتب سر في الديوان الرسمي آنذاك، أو في دوائر الدولة. ولكن هذه الألقاب بعمومها تشير إلى منزلة الكتاب والمدرسين في المجتمع الإسلامي ورفعة مكانتهم وسموّ قدرهم.

٩ – الالتزام بشرط الواقف في مواصفات المدرس أو المعيد، فكان يشترط أحيانًا أن يكون المدرس من مذهبٍ معيّن من المذاهب الإسلامية، ولا يجوز إشغال هذه الوظيفة إلا من الأشخاص الذين تتوافر فيهم تلك الشروط، فقد جاء في ترجمة ابن الدهان أبي بكر المبارك الملقب بالوجيه «أنه تفقه على مذهب أبي حنيفة بعد أن كان حنبليًّا، ثم شغر منصب تدريس النحو بالمدرسة النظامية، وشرط الواقف أن لا يفوض إلا إلى شافعي المذهب، فانتقل الوجيه المذكور إلى مذهب الشافعي وتولاّه[٥٤]. وهذا يشير إلى تمسكهم والتزامهم بشرط الواقف في شغل بعض المواقع الوظيفية.

١٠ – التمتع بحرية فكرية ومذهبية، وهي ما يمكن أن نطلق عليها الحرية الأكاديمية؛ حيث كانت بعض الجامعات تضم بين جدرانها إيواناتٍ أو زوايا أو أقسامًا للمذاهب الإسلامية المعروفة، تدرّس فيها نظريات تلك المذاهب وآراؤها دون أن يكون هناك أي ضغطٍ أو قسر أو تدخّل من قبل أحد، وكان المدرسون والعلماء يبدون آراءهم بحريّة تامة ضمن حصانة أكاديمية؛ فكانت تلك المذاهب تتعايش تحت سقفٍ واحد وإدارةٍ واحدة، وفي أجواء من الحرية الفكرية، ومن التحاور العلمي البنّاء، فكانوا بذلك أقرب إلى ما يتمتع به علماء الغرب ومدرسوهم اليوم[٥٥].

ويتأكد مثل هذا الجوّ العلمي الأكاديمي الديمقراطي الحرّ لجامعات المسلمين التراثية بما كان يفعله المدرسون أنفسهم، ويشيعونه بين طلابهم من تشجيع الطلبة وحثهم على طرح الأسئلة، وإثارة الاستفسارات والتساؤلات، منطلقين من مفهومٍ إسلامي يدعو إلى ذلك

ويشجع عليه؛ فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (**العلم خزائن، مفاتيحها السؤال، ألا فاسألوا، فإنه يؤجر فيه أربعة؛ السائل والعالم والمستمع والمحب لهم**)(٥٦)، وقال ﷺ: (**لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه**)(٥٧). وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (من رقّ وجهه رقّ علمه)(٥٨)، وقال مجاهدٌ: (لا يتعلم العلم مستحيي ولا مستكبر)(٥٩). فكان الطلبة يحرصون على توجيه الأسئلة إلى أساتذتهم مشافهةً بتلطّف وحسن خطابٍ وأدب، وقد يوجهون الأسئلة مكتوبةً على ورقٍ، مثلما كان يفعل في مجلس الشيرازي بالمدرسة النظامية ببغداد(٦٠)، وعلى المدرس أن يجيب عن الأسئلة بكل وضوحٍ وصراحة.

١١ – ومن أعرافهم الجامعية تعيين معيد أو أكثر للمدرس، والمعيد هو الذي يعيد الدرس بعد إلقاء الشيخ الخطبة على الطلبة، كأنه معينٌ للشيخ على نشر علمه، وتثبيت خطبه وإملائه في أذهان الطالبين شرحًا وبسطًا، ومعاون للطلبة في إعادة المحفوظات والمراجعة في المذكرات، فهو دون الشيخ، وأعظم درجةً من عامة الطلبة(٦١). وكان للمعيد مواصفات منها أن يكون «من صلحاء الفضلاء وفضلاء الصلحاء، صبورًا على أخلاق الطلبة، حريصًا على فائدتهم وانتفاعهم به»(٦٢). وكان من واجباته أن يعيد للطلبة ما تعذّر فهمه عليهم من دروس المدرس(٦٣).

أما جلوس المعيد فقد جرت العادة أن يكون قبالة وجه المدرس مع المتميزين والزوار(٦٤). وفي المدرسة المستنصرية كان المدرس يقعد على كرسي، وعلى يمينه ويساره معيدان، يعيدان كل ما يمليه(٦٥). كما أن المستنصر بالله اشترط في الإعادة على المذاهب الفقهية الأربعة أن يعيّن لكل مدرّس أربعة معيدين(٦٦)، وقد تولى الإعادة شخصياتٌ علمية كبيرة لها شأنها في الحياة العلمية، منهم الشيرازي الفيروزأبادي، الذي يذكر أنه صحب القاضي أبا الطيب الطبري كثيرًا، وانتفع به، وناب عنه في مجلسه، ورتبه معيدًا في حلقته(٦٧)، وكذلك كان الشيخ السديد محمد اللماس معيدًا بالمدرسة النظامية، وتتلمذ عليه كثيرٌ من الطلبة، الذين غدوا مدرسين وعلماء(٦٨).

١٢ – من أجل تنظيم الطلبة وتهيئة الدرس كان المدرس يُسمّي له نقيبًا فطنًا كيّسًا دربًا، يختاره من بين طلابه؛ ليرتب «الحاضرين ومن يدخل عليهم على قدر منازلهم، ويوقظ النائم، ويشير إلى ترك ما ينبغي فعله أو فعل ما ينبغي تركه، ويأمر بسماع الدروس والإنصات لها»(٦٩)، وهذا ما نطلق عليه في زماننا هذا اسم (مراقب الصف، أو عريف الصف).

ثالثًا : رسوم وتقاليد تخصّ الطالب

عند الحديث عن الرسوم التي كان الطلبة يمارسونها في حياتهم الدراسية، والتي تتسم بها تصرفاتهم وعلاقاتهم، لا بدّ من الإشارة إلى أن الطلبة في تلك العصور كانوا يتوجهون إلى معاهد العلم باندفاعٍ ذاتيّ، واهتمامٍ شخصيّ، طلبًا للعلم والتعلم، إما تعبدًا وخدمةً للدين الإسلامي الحنيف، وإما تقربًا للسلطان وكسبًا للجاه والثروة... ومهما تكن الدوافع دينية أو دنيوية أو كليهما فإن التحاق هؤلاء الطلبة كان بحافزٍ ذاتيٍّ، وهذا يجعلهم أكثر تفاعلاً والتصاقًا بأساتذتهم، وبالعلوم التي يتلقونها، ولا سيّما أن الطلبة أحرار في اختيار الأستاذ والمادة التي يدرسونها.

ومن هنا فإننا نلمس مقدار الاحترام والأدب الرفيع اللذين يكنّهما الطالب لأستاذه «فلا ينبغي له أن يخاطب شيخه بتاء الخطاب وكافه، ولا يناديه من

بُعد، بل يقول له يا سيدي ويا أستاذي»(٧٠). وهذا يؤكد أنه كان للطلبة آنذاك تقاليدهم الخاصة، التي تنطلق من هذه القيم وتلك الأخلاق، ومن تقاليدهم ورسومهم الآتي:

١ - اهتمام الطالب بنظافة بدنه وثيابه، فلا يدخل على شيخه إلا بأحسن الهيئات، وأكمل الطهارات، وينبغي عليه قبل حضوره إلى مجلس العلم أن يقلّم أظافره، ويقصّ شعره، ويتطيّب بعطرٍ فوّاح؛ لأن ذلك المجلس مجلس ذكرٍ واجتماعٍ وعبادة(٧١). وكان بعض المشايخ يمنع الطلبة من حضور الدرس إذا كان «محففًا بغير عمامةٍ، أو مفكك أزرار الفرجية»(٧٢).

٢ - أن يحضر الطالب قبل حضور المدرس، وألا يتأخر عن ذلك، ولا يدخل على شيخه من دون استئذان(٧٣)، وإذا دخل فعليه أن يجلس بين يدي الشيخ جلسة أدبٍ كما يجلس الصبي بين يدي المقرىء، أو متربعًا بتواضعٍ وخضوعٍ وسكون وخشوع، ويصغي إلى الشيخ ناظرًا إليه، ويُقبل بكليته عليه(٧٤).

٣ - ومن تقاليدهم المهمة أن يعطى الطالب حرية اختيار الشيخ الذي يتلقى العلم على يديه، فليس هناك إلزام، منطلقين من مقولة للسلف نصها: «هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم»(٧٥). ولهذا فإنهم يختارون الشيخ «الأعلم والأورع والألسن»(٧٦). فينبغي للطالب أن يتأنى في اختياره، وأن يستشير غيره من رجال العلم، وأن يحذر من التقيد بالمشهورين، ولذا فإنهم كانوا يفضلون الأخذ عمن «كَمُلت أهليته، وتحققت شفقته، وظهرت مروءته، وعرفت عفّته، واشتهرت صيانته، وكان أحسن تعليمًا، وأجود تفهيمًا، ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقصٍ في ورع أو دينٍ أو عدم خلقٍ جميل»(٧٧).

٤ - وللطالب حرية اختيار العلم الذي يرغب في دراسته مثلما كان له حرية اختيار الأستاذ، فقد كان في أماكن الدراسة عدة زوايا أو إيوانات أو حلقات، تخصّص كل واحدةٍ منها لمذهبٍ أو لشيخٍ أو لمدرس، ومن حق الطالب أن يلتحق بأيها شاء، فقد ذكر المقريزي عن المدرسة المنصورية بالقاهرة أنها كانت تضم عدة تخصصاتٍ منها «دروس للمذاهب الأربعة، ودرسٌ للطب، ودرسٌ للحديث النبوي، ودرسٌ للتفسير»(٧٨). ومثل ذلك كان في المدرسة المستنصرية التي ضمت أربعة أواوين، خصّ كلّ منها بمذهبٍ من المذاهب الأربعة(٧٩)، إضافةً إلى «علوم القرآن، والسنة النبوية، وعلم الطب، والعربية، والرياضيات، والفرائض»(٨٠).

وهذا الأسلوب والذي قبله؛ أي حرية اختيار المدرس واختيار المادة، يعدّ البداية الأولى للنظام التعليمي المعاصر المسمى بنظام المقررات، أو الساعات المعتمدة (الكورسات).

٥ - كان للطلبة زيٌّ خاصّ بهم، يميزهم عن غيرهم، ويلتزمون به، وهو جبة سوداء يرتديها الطلبة عند حضورهم الدرس.

٦ - كان التعليم في العصور السالفة مجاناً بلا مقابل، وكان بعض المدارس يقدم الرواتب الشهرية والسكن وبعض الجرايات الضرورية للطلبة؛ فطالب المستنصرية كان يتقاضى راتبًا شهريًّا مقداره ديناران(٨١)، عدا ما يصرف إليه يوميًّا من طعامٍ وفاكهة وخبزٍ وحلوى... وتقدم إليهم «الحصر، والسراج، والزيت، والفرش، والحبر، والورق، والأقلام، والاستنساخ، والماء البارد، والحمام الحار»(٨٢).

وفي هذا الجوّ الذي تهيئه لهم الجامعة، الذي يخفف عنهم شواغل الحياة وأعبائها الثقيلة، كان الطلبة منصرفين للعلم والدرس، متفرغين لهما، لا يشغلهم عن ذلك شاغل، ومما روي عن الإمام

الشافعي في هذا الصدد قوله: «لو كلفت شراء بصلة لما فهمت مسألة»(٨٣).

وقد بلغ عدد الطلبة المقيمين في الأزهر سنة ٨١٨هـ خمسين وسبعمائة (٧٥٠) رجلٍ ما بين عجمٍ ومغاربة، ومن أهل ريف مصر، ولكل طائفةٍ رواقٌ يعرف بهم(٨٤).

٧ – ومن تقاليدهم المتبعة أن يمنح الطالب على اجتهاده ودروسه ومثابرته إجازةً بالعلوم التي اجتاز بها مرحلةً معينة، تؤهله للجلوس على منصة التدريس أو الفتيا، وتكتب الإجازة في الغالب في قطعٍ عريض... وتكون الكتابة بقلم الرقاع أسطرًا متوالية، بين كل سطرين نحو أصبعٍ عريضة..(٨٥). فالإجازة في مضمونها وفي شكلها تشبه إلى حدّ ما الشهادات التي تمنحها الجامعات اليوم لطلبتها، ولكنها كانت في السابق تمنح من قبل الأستاذ أو الشيخ.

والإجازة على أنواع؛ منها الإجازة بالفتيا، والإجازة بالتدريس، والإجازة بالمرويات، والإجازة بعراضات الكتب وغيرها(٨٦).

٨ – ومن تقاليدهم أن يُجرى احتفالٌ ديني واسع مشهود في بعض الجامعات عندما ينتهي الشيخ من تدريس كتابٍ من الكتب الأساسية المهمة في موضوعٍ ما، يحضره علماء المدينة والمدرسون والطلبة وجمهور الناس، وقد يحضره ممثل السلطان أيضًا(٨٧)، وفي هذا الحفل يقدم المدرس أو الشيخ تحليلاً مفصلاً للموضوع، وترجمة لمؤلف الكتاب الذي يُحتفل بختمه ورواياته وأسانيده(٨٨)، وكانت هذه الاحتفالات تقام على الأرجح في شهر رمضان المبارك(٨٩).

٩ – ومن القيم الأخلاقية، التي استقرت في سلوك الطلبة، والتزموا بها، فأصبحت عرفًا وتقليدًا لا يحيدون عنهما، وقوف الطلبة احترامًا وإجلالاً لأساتذتهم، وذلك عند دخول المدرس أو الشيخ قاعة الدرس، ويمثل هذا التقليد الجامعي حالة إيجابية تدل على تقدير العلم والعلماء، ورفعة قدر المدرسين، الذين يبذلون قصارى جهدهم من أجل بناء الجانب الفكري والخلقي للإنسان... وفي التراث الإسلامي ما يؤيد ذلك السلوك ويؤكده، فقد روي عن النبي محمد ﷺ أنه قال حينما دخل عليهم سعد بن معاذ مخاطبًا صحابته: (**قوموا لسيدكم**)(٩٠). وقال الخطابي في شرحه لهذا الحديث: «إن قيام المتعلم للعالم مستحبٌ غير مكروه»(٩١). ●

الحواشي

١ – الروم : ٥٦.
٢ – إحياء علوم الدين: ١/٢٥.
٣ – العلق : ١ – ٥.
٤ – صحيح البخاري: ١/٢٧.
٥ – إحياء علوم الدين: ١/١٩.
٦ – المصدر نفسه: ١/٢٢. وقال الغزالي عن الحديث إنه رآه مرفوعًا.
٧ – القصص : ٧٧.
٨ – آداب المتعلمين ورسائل أخرى في التربية الإسلامية: ١٥ – ١٦. والكتاب مجموعة رسائل للغزالي والطوسي وابن جماعة وابن خلدون والهيثمي.
٩ – المصدر السابق نفسه.
١٠ – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والديار: ١/ ٤٥٨ – ٤٥٩، ٢/ ٣٦٣ – ٤٠٦، وخلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك: ٢٨٧. والحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة: ٥٩.
١١ – جامعاتنا والتقاليد: ٤٥، بحثٌ منشور ضمن وقائع الندوة العلمية والتربوية لجامعة الموصل المنعقدة سنة ١٩٨١م.
١٢ – المصدر السابق نفسه.
١٣ – علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي: ١٢.
١٤ – المدرسة المستنصرية: ٣٤.
١٥ – فوات الوفيات: ٤/١٧٠.
١٦ – المواعظ والاعتبار: ١/٤٥٩، ٢/٢٧٣، ٣٦٤، ٣٦٥.
١٧ – الحوادث الجامعة: ٥٤ – ٥٥. البداية والنهاية: ١٣/١٣٩.
١٨ – لقب المدرس: يقابله في زماننا حامل لقب الأستاذية، أما نائب التدريس فلعله يقابل بمصطلحاتنا: مصطلح أستاذ مساعد أو أستاذ مشارك.
١٩ – الحوادث الجامعة: ٥٥.
٢٠ – الحوادث الجامعة: ٥٥ – ٥٦، والبداية والنهاية: ١٣/١٤٠.
٢١ – الحوادث الجامعة: ٣٠٧.
٢٢ – المواعظ والاعتبار: ٢/٣٧٩.
٢٣ – تقاليد جامعية في العصر السعدي: ٦٩ – ٧٠. بحث في مجلة البحث العلمي.
٢٤ – المصدر نفسه.
٢٥ – صبح الأعشى في صناعة الإنشا: ٤/٤٠.
٢٦ – تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم: ١٩٨.
٢٧ – كتاب آداب المعلمين: ٨٢ – ٨٣. وقد أشار المؤلف إلى أن بعض العلماء المسلمين كان يمتنع عن أخذ الأجر على التعليم، ويترفع عن الجري وراء المنافع المادية، ويرون في ذلك منقصة من قيمة العلم، وحطًا من قدره، وروي أيضًا: أن علماء ما وراء النهر أقاموا مأتمًا للعلم حينما سمعوا بأن نظام الملك جعل معاليم معينة لمن يقوم بالتدريس. انظر: تاريخ علماء المستنصرية: ٣١٣.
٢٨ – المواعظ والاعتبار: ٢/٣٦٥، وتاريخ علماء المستنصرية: ٤٨ – ٤٩.
٢٩ – المدرسة المستنصرية ببغداد: ٤٤.
٣٠ – خلاصة الذهب: ٢٨٧.
٣١ – فوات الوفيات: ٤/١٧٠.
٣٢ – تذكرة السامع: ٧١.
٣٣ – تاريخ علماء المستنصرية: ٤٨.
٣٤ – الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير: ٢٣٣ – ٢٣٧.
٣٥ – صبح الأعشى: ١/٣٠٢، وانظر: ٤/٤٠، ١٠/ ١٤٨ – ١٤٩.
٣٦ – تذكرة السامع: ٣٠.
٣٧ – المصدر نفسه: ٣١.
٣٨ – المصدر نفسه: ٣٤.
٣٩ – المصدر نفسه: ٣١ – ٣٣. وحاشية: ٢٢٥، ٤١٨.
٤٠ – وفيات الأعيان: ٤/٢٢٠.
٤١ – صبح الأعشى: ٤/٤٣. قربوس: هو حِنو السرج، وهما قربوسان، أما (دَلَق) فهو لباسٌ يلبسه العلماء والقضاة والصوفية، ويكون من الصوف غالبًا.
٤٢ – تذكرة السامع: حاشية ٢٣٢.
٤٣ – المصدر نفسه، حاشية ٢٢٥.
٤٤ – الطَرحة : الطيلسان، والطرحة عند العامة غطاء الرأس، مستطيل، وهو الخمار.
٤٥ – تاريخ علماء المستنصرية: ٤٨ نقلاً عن الرحلة لابن بطوطة: ٢/١٠٩.
٤٦ – وفيات الأعيان: ٥/٣١٦.
٤٧ – فوات الوفيات: ٤/٣٥.
٤٨ – تذكرة السامع: ٣٨.
٤٩ – المصدر نفسه: ٣٩.
٥٠ – المصدر نفسه: ٣٩ نقلاً عن تذكرة الحفاظ للذهبي: ٣/٣١٦.
٥١ – صبح الأعشى: ٥/ ٤٣٨ – ٤٣٩، ٦/٣ وما بعدها حيث رتب المؤلف الألقاب حسب الحروف الأبجدية.
٥٢ – ذكر ابن خلكان أن أبا نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الصباغ كانت الرُحلة إليه من البلاد، انظر وفيات الأعيان: ٣/٢١٧.
٥٣ – لمزيدٍ من الفائدة يراجع صبح الأعشى: ٦/٣ وما بعدها.
٥٤ – وفيات الأعيان: ٤/١٥٢.
٥٥ – انظر: تاريخ علماء المستنصرية: ٤٢.
٥٦ – إحياء علوم الدين: ١/٢٩، وروى الحديث أبو نعيم من حديث علي مرفوعًا بإسنادٍ ضعيف.
٥٧ – المصدر نفسه، والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط، وابن مردويه في التفسير، وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين، من حديث جابر بسندٍ ضعيف.
٥٨ – رواه الدارمي – كنز العمال ٦/٢٤١ نقلاً عن تذكرة السامع لابن جماعة: ١٥٧.
٥٩ – أخرجه البخاري: ١/٤٤، باب الحياء في العلم.
٦٠ – آداب المتعلمين: ٢٢.
٦١ – تذكرة السامع: حاشية ص ١٥٠.
٦٢ – المصدر نفسه: ٢٠١.

٦٣ – المصدر نفسه: ٢٠٤.
٦٤ – المصدر نفسه: ١٤٩.
٦٥ – انظر: رحلة ابن بطوطة: ١/٢٤٤.
٦٦ – خلاصة الذهب: ٢٨٧.
٦٧ – وفيات الأعيان: ١/٢٩.
٦٨ – المصدر نفسه: ٤/ ٢٣٧، ٢٥٣.
٦٩ – تذكرة السامع: ٤١.
٧٠ – المصدر نفسه: ٨٩.
٧١ – المصدر نفسه: ٩٥.
٧٢ – المصدر نفسه: ٢٣٥.
٧٣ – المصدر نفسه: ٩٤ – ٩٥.
٧٤ – المصدر نفسه: ٩٧.
٧٥ – المصدر نفسه: ٨٥.
٧٦ – المصدر نفسه: ٨٥.
٧٧ – المصدر نفسه: ٨٥.
٧٨ – المواعظ والاعتبار: ٢/٣٨٠.
٧٩ – المدرسة المستنصرية ببغداد: ١٢.
٨٠ – تاريخ علماء المستنصرية: ٣.
٨١ – المدرسة المستنصرية ببغداد: ٤٤، تاريخ علماء المستنصرية: ١٦٢.
٨٢ – تاريخ علماء المستنصرية: ١٧.
٨٣ – تذكرة السامع: ٧١.
٨٤ – المواعظ والاعتبار: ٢/٢٧٦.
٨٥ – صبح الأعشى: ١٤/٣٦٤.
٨٦ – المصدر نفسه، ولقد ذكر المؤلف مجموعة إجازات في هذا الموضوع.
٨٧ – تقاليد جامعية: ٧٠.
٨٨ – المصدر نفسه.
٨٩ – المصدر نفسه.
٩٠ – صحيح البخاري: ٨/٧٢، باب الاستئذان، ويروى «قوموا إلى سيدكم»، وانظر الحديث في مواضع أخرى من المصدر نفسه.
٩١ – انظر: معالم السنن للخطابي شرح أبي داود، ٤/ ١٥٥ – ١٥٦ نقلاً عن كتاب: حقائق عن التصوف: ١١٧.

المصادر والمراجع

الاربلي : عبد الرحمن سنبط قنيتو.
– خلاصة الذهب المسبوك، مطبعة المثنى، بغداد.
البخاري : محمد بن إسماعيل.
– الجامع الصحيح، دار مطابع الشعب، القاهرة.
ابن بطوطة :
– الرحلة، تح. د. علي المنتصر الكناني، ط٤، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
ابن جماعة : إبراهيم.
– تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية، بيروت. د.ت.
حجي : محمد.
– تقاليد جامعية في العصر السعدي، مجلة البحث العلمي، س١٣، ع٢٦، الرباط، ١٩٧٦م.
ابن خلكان : أحمد.
– وفيات الأعيان، تح. د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨ – ١٩٧٢م.
ابن الساعي : علي بن أنجب.
– الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، نشر د. مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، ١٣٥٣هـ = ١٩٣٤م.
ابن سحنون : محمد.
– كتاب آداب المعلمين، تح. حسن حسني عبد الوهاب، ط١، تونس، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.
العطار : أحمد عبد الغفور.
– آداب المتعلمين ورسائل أخرى، ط٢، بيروت، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٧م.
عواد : كوركيس.
– المدرسة المستنصرية ببغداد، مجلة سومر، س١، ع١، بغداد، ١٩٤٥م.
عيسى : عبد القادر.
– حقائق عن التصوف، ط٥، مطبعة النواعير، الرمادي – العراق، ١٩٩٢م.
الغزالي : محمد بن محمد.
– إحياء علوم الدين، ط١، دار الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
ابن الفوطي : عبد الرزاق.
– الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، المكتبة العربية، بغداد، ١٣٥١هـ.
القلقشندي : أحمد بن علي.
– صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تح. محمد حسين شمس الدين ورفاقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
الكتبي : محمد بن شاكر.
– فوات الوفيات، تح. د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م.
ابن كثير :
– البداية والنهاية، ط٧، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
معروف : ناجي.
– المدرسة المستنصرية، بغداد، ١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م.
المقريزي : أحمد بن علي.
– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والديار، طبعة بالأوفسيت، مكتبة المثنى، بغداد.
الملاح : هاشم يحيى.
– جامعاتنا والتقاليد، بحثٌ منشور ضمن وقائع الندوة العلمية والتربوية لجامعة الموصل، المنعقدة سنة ١٩٨١م.